أدونيس

دار الآداب



أوراق في الريح

«صياغة نهائية»

SS

أوراق في الريح

أدونيس

أوراق في الريح

(١٩٥٥ ـ ١٩٦٠)

ـ صياغة نهائية ـ

منشورات دار الآداب ـ بيروت

صورة الغلاف
للفنان عبدالرزاق حموده

طبعة جديدة
١٩٨٨

أوراق في الريح

- ١ -

لأنني أمشي
أدركني نعشي.

- ٢ -

أسيرُ في الدّرب التي تُوصلُ اللهَ
إلى الستائر المُسدَلَهْ
لعلّني أقدر أن أبدلَهْ.

- ٣ -

قالَ خَطْوي وَرَدَّدتْ أَبْعادي:
«قد تكون الحياةُ أضيقَ من ثقبٍ صغيرٍ في كومةٍ من رمادِ».

- ٤ -

كاللّعبِ
تركض في مفاصلي
كلّ رياحِ التّعبِ،
هل رُوّعتْ من لَهبي
فالتجأت لريشتي
واختبأتْ في كتبي؟

- ٥ -

حولي، على وجه الضّحى، صدأٌ
يغفو على بابي
في شكل أظفارٍ وأنيابِ
أرنو له بغدي وأغسلُه
بدمي وأعصابي.

- ٦ -

ألموعد المجهولُ في صمت العذابِ
إبَرٌ تخيّط لي إهابي.
عَمِيتْ دروبي: أين وَجْهُ الأفْق يقرأ لي كتابي؟

- ٧ -

وطني يُغَلْغِلُ في متاهٍ أَجردِ
هذا غدٌ؟ لا لستُ من هذا الغدِ.

- ٨ -

نَهرُ العالم ارتوى
من سراديب رجسهِ
أرضه، منذُ كوّنت
أَطفأتْ شمعة الغدِ،
قال عنه تجدّدي:
«أنا أجري بعكسهِ».

- ٩ -

لكي تقول الحقيقَهْ
غيِّر خطاكَ، تهيّأْ
لكي تصيرَ حريقهْ.

- ١٠ -

كلّ العالم فِيّ جديدُ
حين أريدُ.

- ١١ -

لأنّه روّى من دمِه قولَهْ
لأنّه أسمى
من كلّ مَن حولَهْ،
قالوا له: «أعمى»
وانتحلوا قولَهْ.

- ١٢ -

حتى الخطيئهْ،
تتلبّس الصُّور المضيئهْ
وتقول: «حدسيَ مطلقٌ بكرٌ، وتجربتي بديئه».

- ١٣ -

يبتكرون الحياةَ بالعددِ
بواحدٍ جائعٍ بدون يدٍ،
وآخرٍ نصْفهُ من الزّبدِ:
لا يُبدع الرّملُ أيَّ أغْنيةٍ
ولا تُحسُّ الأشياءُ بالأبَدِ.

ـ ١٤ ـ

يطغى بيَ الحُلُمُ
فأضيعُ مِن شَغَفٍ،
وأكاد بالعَبثِ الفضيّ أرتطمُ.

ـ ١٥ ـ

لا، لا. أحبّ، أحبّ أن أثقا:
وبسطتُ أجنحتي ومنحتُها الأُفُقا
فتناثرت مِزَقا...

ـ ١٦ ـ

بنثرةٍ من الملَلْ،
أردم كلّ لحظةٍ
بُحيرةً من الأمَلْ.

ـ ١٧ ـ

في جانحيّ دليلٌ
يسير بي للطّريق
وفي الطّريق رمادٌ
يخبو، ووهجُ حريق.

ـ ١٨ ـ

أمسحُ بانتظاري
عناكبَ الغُبارِ. . .

ـ ١٩ ـ

بعد غَدٍ أبني
بيتيَ بالأمسِ
وأمسِ كالرّمسِ :
وارحمةَ الشمسِ . . .

ـ ٢٠ ـ

قال لي تاريخيَ الغَارِسُ في الرّفض جذورَهْ :
«كلّما غبتَ عن العالم أدركتَ حضورَهْ» .

ـ ٢١ ـ

ناضلْ حتى يصل الحجَرُ
للشمس ـ لِما لا يُنتظَرُ.

ـ ٢٢ ـ

في الطّاقة الخَرزيّهْ
ما زال خيطُ بصيصٍ

من الضّحى، وبقيّه.

ـ ٢٣ ـ

أصوغ من وساديَ المحجّرِ
أغنيَتي وريشتي ودفتري.

ـ ٢٤ ـ

لا، لم يُقطَفْ بعدُ الثّمَرُ
فهو جنينٌ مُنْتَظَرُ. . .

ـ ٢٥ ـ

أجدرُ بالحاضرِ لو يُقَلَبُ:
لو كعبُهُ يحلمُ، أو يكتُبُ. . .

ـ ٢٦ ـ

قال الرّبيعُ:
«حتّى أنا في كلّ ثانيةٍ أضيّعها، أضيعُ».

ـ ٢٧ ـ

أنا بيتُ الضّوء الذي لا يُضاءُ:
قلقي شعلةٌ على جبل التّيه
وحبّي منارةٌ خضراءُ.

- ٢٨ -

في عروقي تغفو طواعيةُ الحلم، وتبكي قيثارة الأشياءِ:
ما على الفجر لو ترسّم خطوي
ما على الشّمسِ، لو تسيرُ ورائي؟

- ٢٩ -

في بلادي تمشي أماميَ حُفْرَهْ
صُنِعت من دمٍ وعَسْفٍ ومكرٍ،
في بلادي تُبنى السماء بشَعْرَهْ
وتُهدُّ الدّنيا بلطْمة ظفرِ.

- ٣٠ -

رَقصت بين جفوني الخائِفَهْ
جثّة اللّيل وحرْباءُ المدينَهْ،
فَتقنّعْتُ بعشتار الحزينَهْ
ورسمتُ العاصِفَهْ.

- ٣١ -

أمسِ، فأرَه
حَفَرتْ في رأسيَ الضائعِ حُفْرَه؛

ربّما ترغب أن تَسكن فيهِ
ربّما تطمح أن تملك فيهِ
كلّ تِيه
ربّما ترغبُ أنْ تُصبِحَ فكْرَه. . .

- ٣٢ -

أَعْطِ للفأرة سوطاً
تتبختَرْ كالطُّغاةِ،
رَحِمُ الفأرةِ مزحومٌ بذئبٍ وبشاةِ.

- ٣٣ -

شَدّ على لسانِه وكَمَّا
فمات، بعد برهةٍ، أصمّا.

- ٣٤ -

بدّل حتى خطَأَهْ
بِلألأهْ:
كيف يصوغُ مَبْدأهْ؟

- ٣٥ -

يا وجهَ المسكن، وجهَ الأُفقِ

غيّرْ شمسَك، أو فاحترقِ . . .

- ٣٦ -

أعمقُ أن أغيبا -
أن أسكنَ الغريبا،
لكي أصوغَ شكلَ السؤال، أو أجيبا.

- ٣٧ -

هذا الجيل الطّالع بعدي مثلَ هدير الأشياءِ
هذا الجيل وقفتُ عليه كلّ غنائي
لم يُولد بعد، ولكن ها هو ينبض في أعماق الوطن
ها هو يحرق ثوب العفَنِ.
ها هو ينقب سدّ الأمسِ،
بيد الشّمسِ،
ذاك الجيل الطالع بعدي مثل الماءِ
مثل هدير الأشياءِ.

- ٣٨ -

قلبتُ كرسيّ عرشي:
فحين أزهو وألهو
أصوغ، في السرّ، نعشي

وحين أتعبُ، أمشي .

ـ ٣٩ ـ

تيْبسُ، تيبسُ أعصابي
كالقَشِّ، كفأس الحطَّابِ:
أيّ دخيلٍ تحت إهابي؟

ـ ٤٠ ـ

لأنّه الأفْقُ صدىً كلُّهُ
قلبٌ من الآتي وتسبيحُ،
لا تهرمُ الريحُ.

ـ ٤١ ـ

أرقبُ اللهَ عن كثَبْ
بَصري نورُ شمعةٍ
وحناياي من لهَبْ:
وحدَهُ، يفهم التّعَبْ.

ـ ٤٢ ـ

لا أنحني
إلاّ لأحضن موطني

أنا صدرُ أمٍّ مرضعٍ تحنو، وجبهةُ مؤمنٍ .

- ٤٣ -

من يرى الموتَ مِثلَهُ والحياةَ،
يكتب الليلَ والنهار بعينيه
وتمحو أوراقَه المِمْحاةَ .

- ٤٤ -

لأنّه يحيا صدىً وأشتاتا،
إحساسُه ماتا .

- ٤٥ -

هذا العالمُ، منذُ ابتدأَ
لم يُطفىءْ حتى . . . حتى الظَّمأَ . . .

- ٤٦ -

يتّكىءُ السجنُ على قَملتينْ :
إحداهما حُبلى، وتلك التي
ماتت، تصبّ الأكل في قَصْعتينْ .

- ٤٧ -

يا شمعةَ المستقبل البصيرَهْ،

مالي أخاف الطُّرُقَ القصيرَهْ؟

- ٤٨ -

أحسّ المغيَّب ينبت قربي:
خطايَ اكتشافٌ
وسيريَ أبعدُ من كل دربِ.

- ٤٩ -

قال الغد الحائرْ:
«إن طفر اللحنُ
من شفتيْ طائِرْ،
لا يطربُ الغصنُ».

- ٥٠ -

هذا العالمُ: من يبنيهِ
يرميه أكثرَ في التّيهِ.

- ٥١ -

رأسه تحت وجهه
والعصا فوق رأسهِ
تتلهّى بيأسِه،

والليالي تخثَّرت
عَلَقاً مِلْءَ نفسِه.
خلف عينيه قصّةٌ
لم تُترجَمْ حروفها
جذعها الشكّ والحذرْ
والمآسي قطوفُها.
عمره شقٌّ حفرةٍ
وسراديبُ تُبتكَرْ
هو دنيا طويلةٌ
برغيفين تُختَصرْ.
غده خلف أمسِه
وحناياه للتهرّؤِ والقيء مشتلُ،
كادت الأرض تجفلُ
حين همَّت بلمسهِ.

زمن الشمس في خطاه جليدٌ محجّرٌ
والثواني تفسَّخت عبثاً لا يُفسَّرُ
في ينابيع حدسِه.

قلبه خيط سنبلٍ
واختلاجاته قصبْ

رُبَّ جفنين من حطبْ
رفْرفا عبر هجسِهِ :
لا تقل مات يأسهُ
نبضه سرّ يأسِهِ .

- ٥٢ -

بعد الموتِ،
لا صوتَ يجسِّدُ لي صوتي .

- ٥٣ -

أتفهمني وأنا كالحياة عميقٌ بعيدُ؟
وكيف تحققّتَ أني أحبَ وأني أريدُ
وفي رغبتي للرّياح مقرٌ وقطبٌ
وفوق لساني حديدُ؟
أتفهمني؟ لون عينيَّ شمسٌ تؤجُّ
ولونُ خطايَ جليدُ.

- ٥٤ -

أَطعمِ الأيامَ زندَكْ،
تكبرِ الأشياء بعدَك .

ـ ٥٥ ـ

أعمقُ ما يفسِّر الأرضا
حشرجةُ المرضى.

ـ ٥٦ ـ

أجيءُ مع الناس للكونِ حلماً
وأذهبُ حُلما
وحسبي، أضيفُ لهذا الوجودِ
صباحاً، ورفّةَ جَنْحين، واسْما.

ـ ٥٧ ـ

هُوذَا، يرفض أن يرقى
إلاّ حرْقا،
فيه نارٌ لا تخبو
فيه القلبُ.

ـ ٥٨ ـ

نوافذٌ من الدموع هاجرتْ
وجبلٌ من الزّنودِ غائِرٌ
يرصدُه الهواءُ والصنّوبرُ الحزينُ، كلّ لحظةٍ.

وتينةٌ عتيقةٌ
جفونها من البكاء التصقت بساقِها
والصّمْتُ سنٌ إبرَ النّسيجِ :
خاطَ كفنَ الطُّيورِ
صار جَرساً من الحُفَرْ.

خُيِّلَ لي كأنّني
أسمعُ لغوَ طفلةٍ تسمَّرت على السَّرير كفُّها
وعَلِقت جفونُها بخاطرٍ تحسبه فراشةً
أو كرةً أو لعبةً لم تلمح السماءُ مثل لونها .
خُيِّل لي كأنّني في سهَرٍ وفي سَمَرْ
أجلس مع سيدةٍ تظنني حفيدَها
تأسرنا بالقصص الغريب كلَّ ليلةٍ :
«جنّيةُ المياه في غلالةٍ من الدّجى
تبدو لنا شرارةً أو شبحاً
تحبّنا ، تأخذنا لأرضها ،
تُلبسنا ثيابَها الريحيّة ، الخفيّة الخيوطِ.
وحارسُ القطيع في تلالِه
تقتله الذئابُ أو يقتلُها .
والفارس الجميلُ في هجومِه

يقضي على غريمه بلفتةٍ
ويخطفُ الحبيبةَ الحلوة من خِبائها».

خُيِّلَ لي كأنني
أُمسِكُ شعرَ الزّمن المسافر الذي عبرْ
أَجدله أُعيده نوافذاً
وطفلةً صغيرةً وجدّةً
وأستعيدُ ما غبر.

ـ ٥٩ ـ

عِشْ أَلَفاً وابتكر قصيدةً وامضِ :
زدْ سِعة الأرضِ .

(١٩٥٥ ـ ١٩٥٧)

الفراغ

- ١ -

حطام الفراغ على جبهتي
يمدّ المدى ويُهيلُ الترابا
يُغَلْغِلُ في خطواتي ظلاماً
ويمتدّ في ناظريّ سرابا.
هنا، عبرَ دربي، يموت ربيعٌ ويصفرّ ريفُ
هنا، في عروقي، صدىً للجفاف ودمدمةٌ وصريفُ
هنا، في دمي يولد الخريفُ
وفي حاضري يَتَمرْأى،
وتبعد عنّيَ، تبعد شمس المصير، وتنأى،
ويخطو الخريف وينمو هوىً ويحنُّ
ويكبرُ: في خطوه حالمون،
وفي صدره ساحرونَ وجنٌّ.

حطام الفراغ يغيّب نجمي، يجمّد أرضي
ويترك بعضي كهوفاً لبعضي،
ويجعلنا كالفراغِ
حطامُ الفراغِ .

- ٢ -

وفي أرضنا شبحٌ يتمطّى
سراباً ورملا
ويملأ أعماقنا يأساً
ويملؤها دُكْنةً ومحْلا.
وفي أرضنا مَلَلٌ يُبدع المقابرْ
وينثرها، عبْرَ أيامنا، أنيناً وعبْرَ خُطانا، مجازرْ.
هنا الحقد ركّز راياتهِ
وشرّعها قِمّةً وطريقا
يحطّ على توقنا صقيعاً
ويَضْرَمُ في حبِّنا حريقا.
وللحقد في شعبنا
بلادٌ وشعبُ
له ساحةٌ واصطخابٌ وحربُ
يوسِّخ أجواءنا

ويحفر أبناءنا
كهوفَ ضلالٍ وقبحٍ ،
ويصفع في وجههم كلَّ نجمٍ
ويخنق في جفنهم كل صبحٍ .

-٣-

نوافذ أيّامِنا حُطِّمت
ولم يبقَ فيها ستارُ
وفجر أساطيرنا مغلقٌ
يخيّط أجفانَه الغبارُ.
وأطفالنا بهجةٌ تتمحَّى
ومقبرةٌ وانتحابُ
لهم تتلهّف حتى القبورُ
لهم يتلهَّف حتى الترابُ
فأمسِ ، الفراغُ ، فراغ المضيعةِ، ضيّع أحلامهمْ
وضيّع آمالهمْ
وأنبتَ فيهم بذور المواتِ
وأطْفَأَ فيهم ضياءَ الحياةِ
وأمس فراغ المضيعة أحرق بلداننا
وخرّب عمراننا

وبالأمس، كان يجوِّب في شعبنا
ويرذل ما عزَّ مِن حبّنا
وكان يُطوِّفُ عِبْر المدينهْ
ويطرد منها السكينه
وعاملها في يديه، يشلُّ يديهِ . .
ويسلبُ حتى جبينهْ
ويمضي، وخلف خطاهُ تئِنُّ وتندب أبوابها الحزينه.

- ٤ -

فراغٌ زمان بلادي فراغُ
وتلك المقاهي
وتلك الملاهي
فراغُ
وهذا الذي ذلّ في أرضه وأنكرها واستكانا
ولوّث أنهارنا وربانا،
فراغُ
وذاك الذي مَلَّ من شعبِه
ومن حبّهِ
وغمّس باليأس أعماقَهُ
وأحداقهُ،

فراغُ
وذاكَ الذي لا يرى غيرَهُ
ولا يجد الخير خيراً، إذا لم يكن خيرَهُ،
فراغٌ فراغُ.
فراغٌ يعشّشُ فيه الدمارُ
ويسكنه الفاتحون التّتارُ
هنا، حَرَمٌ يُوطَأ،
هنا شرف يصدأُ
هنا عالمٌ يُهَدُّ
ويوقف عن سيره ويُردُّ.

لِمن جيلُنا يحرق البخور لمن يسجدُ
وأيّ إلَهٍ تُرى يعبدُ؟
لمن ينتمي ويشدّ يديه اعتدادا
ويحيا له صيحةً وجهادا؟
لمن فصّل اليوم ليلاً وشمسا
وسوَّى له العمر آناً وأمسا،
لمن يتربَّى، لمن يكبرُ؟
تكاد، على عقمه، الآلههْ
تعاف قرابينه الوالِههْ

وتركلهم واحداً واحداً
وتكبر عنهم وتستكبرُ.

- ٥ -

فراغٌ فراغٌ . . ألا ثورةٌ
تشيد لنا بيتنا
وتُجري معاصرُها زيتَنا
وتملأ بالحاصدين الحقولا
وتملأ بالخلْق، بالثّورة العقولا؟
ألا ثورةٌ في الصميم تُنشّئنا من جديدِ
وتمحقُ فينا هوانَ العبيدِ؟
ألا ثورةٌ في الصميم تُبدِّع من أوّلِ
حياة الغد المقبلِ
وتفتح أجفان أبنائِنا على الزمن الأجملِ
على العالم الأفضلِ،
ألا ثورةٌ، ثورةٌ في الصّميم تبدِّع من أوّلِ؟

- ٦ -

أفي موطني يُولد الفراغ أفي عمرِه؟
ونحن المليئون من فطرة الوجود ومن سرِّهِ؟

بنا يفرح الزّهر والماءُ
يفرح حتى الحجرْ
وتفرح في أرضنا الينابيع يفرح فيها الشجرْ
فنحن ثراها ونحن شذاها
ونحن تفتّحها المنتظر.

- ٧ -

بلى في بلادي أنا ثورةٌ
تُنوّر أزهارُها
ويهدر إعصارُها
وفيها دمٌ ثائرٌ
يُعمّر دنيا ويهدم دنيا
على كبْره تستفيق الحياةُ
وفي دَفْقِه تتعالى وتحيا.
بَلى في بلادي أنا خالقونَ
وساعٌ كآفاقها الواسعه
نقيُّون كالشّمس في عُرْيها
فتيُّون كالأنجم الطالعه.
يُحبّون في أرضهم كلّ شيء
ولا ييأسون ولا يحقدونْ

ويبنون من جرحهم صرحها
ويَرْوُون من دمهم صبحَها
ويستقطرون ويَسْتَخْلصونْ
همُ المشرقون على أرضنا صباحاً أصيلا
هم الواقفون على مجدها الزمانَ الطويلا

بلى في بلادي أنا خالقونَ
بنَبض شرايينهم عمَّروها
محوا عتْمة اليأس واليائسين بأجفانهمْ
بفرحتهم لامتلاك الوجود، بأحزانهمْ
هنا دفّقوا دَمهم في الزّمانِ
هنا اختصروا عمرهم في ثواني
هنا ملأوا كلّ شيءٍ يقينا

ولم يبق في شعبنا فراغُ
ولم يبق في أرضنا فراغُ
وها في بلادي، بلاد الفراغ، يموت الفراغُ.

- ٨ -

بلى في بلادي لكلّ الزمان لكلّ المصير اكتناهُ
وإن شوّهوهُ

وفيها لخلق لصيرورة الحياة إلَهُ
وإن أنكروهُ
سنملأ أيّامَنا بالمحبّة ، نشرع فيه النفوسَ دروباً وألويةً وبنودا
ونجعل من كِبْرنا اللّهيب ونجعل من حبّنا الوقودا
وتفتح أجفانها الحقيقهْ
على الطلّة الأصيلة فينا على الصيحة العميقه
ويلقى الزمان الجديد طريقهْ

ـ ٩ ـ

صغار بلادي شموعٌ مضيئهْ
صغار بلادي يغنّوننا
أغانيهم البريئهْ
يقولون : «في أرضنا ثورةُ
تُفَجِّرُ من أوّلِ
حياة الغد المقبلِ
وتفتح أجفاننا
على الزمن الأجملِ » .
يقولون : «في أرضِنا
يموت الذين أزاغوا وزاغوا
يموت الفراغُ» .

(دمشق، ١٩٥٤)

العمل

للعَمل
شمَّر زَنْد الأملِ
وانطلقا،
يزرع في ساعدهِ
يَزْرَعُ فيه الأُفقَا.
عمّر في ضميرِه
معمله ومصنعَهْ
وحقله وجنّةً
في حقله مضيّعه
بالشوك بالدّمع بنَى
مسكنه ورصّعه
كأنه من أوّلِ
ينمو به ويكبر

في وعيهِ، في صدرهِ
مستقبلٌ يختمرُ.

أصّله الكفاح في الصخورِ
من أوّل العصور
فهو على امتدادها كالنّسغِ ، كالجذورِ.
هَازَرْعُهُ، ينبت في جفونه ويُورِفُ
كأنه أجنحةٌ ترفرف.
وفي غدٍ على ضفاف حبّه يطوّف
له السماء جبهةٌ وقامةٌ ومعطفُ.
هازَرْعُهُ، مثّل فيه مسكَنَهْ
مَثّل فيه شعبه وموطنه.
حقولُه المحروثَةُ المخدّدَهْ
له، لِكلّ شعبه مجنّده
يلمح في نموّها
أجياله المخلّده
يلمح فيها بيته
وناره وموقده
وشمعةً راهبةً مبتهله
ترقد عند رأسه

راعشةً مشتعله
وتهدأُ
يُولد في رمادها
كفاحهُ ويبدأُ .

في بيته حكاية طويلةٌ تَنسردُ
يكمنُ فيها الأبدُ
يرغفها الرّغيفُ ،
والمعجن النظيف
وهي وراء البيدرِ
تَلَهّفٌ ، وطفلة صغيرةٌ لمْ تكبرِ
وهي أمامَ المصطبهْ
عباءة مقصّبه
شائخةٌ مهذَّبه
وهي ، على الحصير
والتخت والخوانِ
في لهيب المدفأه
زوْبَعةٌ مختبئه
تسكبُ في الزمانِ
حرارةَ المصيرِ.

يا زند يا مشمّرُ
يا ثورةً في أرضنا، في عمرنا تُفجّرُ
يا عَرقاً يندفقُ
يغرق فيه الشفَق
مطرّزاً بالحلمِ
محمَّلاً بالألم
ويا دماً تفحّما
في السّاعد المشرَّع
وبرْعَما
يا زند يا مشمِّرُ
يا ثورة في أَرضنا في عمرنا تُفجَّر
أنتَ لنا التجدّدُ
والكبر والتمرّدُ
أنت لنا الحياة والبناءُ
والأرض والسماءُ
يا لهب المجامر
يا زند يا ممرّدُ
أبدعْ لنا أرض الأملْ
أرض العملْ

وارْم علينا ظلَّها
وطَلّها
وغنِّنا
سقْسقةَ الجداول
وخلِّنا
نكبرْ مع السنابلِ
والتّوت والنخيلِ
والفجر والأصيلِ
وخلِّنا
نشرع زند الأملِ
للعملِ .

في الأرض في حقولها
في صدرها المشقّق
في سرها المفتَّق
نكشف عن نفوسنا
وننتمي ونرتقي
نَبْسط فيها العمُرا
خمائلا وأنهرا .

يا عَمَلُ
يا واضعاً حدودَها
يا مشرعاً بنودَها
قل نحنُ نحن العملُ
نحيا له ونُجبَلُ
وقل على فؤوسنا
ينتظمُ المكانُ
وقل على زنودنا
يبتدىءُ الزّمانُ .

الثائر

[مقاطع]

- ١ -

شُدَّ يا ثائرُ، يا عاصف، زندَكْ
فالأعالي تشتهي، تعشق بندَكْ
ما هو العالم بعدَكْ؟

هذه زلزلةٌ ترنو إليكا
نُشِّئت تحت يديكا،
فأَثِرْها
وأَدِرْها
وَلْيَكُ اللاّحدّ حدّكْ.
وسِّع الدنيا إذا شئتَ،
وإن شئتَ اختصِرْها:
جُمِّعَ التاريخ عندَكْ.

لك غنّيتُ حياتي
لكَ ربَّيتُ على الثورة ذاتي.
كلّ حرفٍ في نشيدي
طينُ إنسانٍ جديدِ
يَتغذّى بك بالشَّمس العتيقَهْ
يتغذّى بالحقيقَهْ...

-٣-

يولد التّاريخ في شمْخة صدرِ
في انتفاضَهْ
ويُلاقي في دجى الموت بياضَهْ
كلُّ فجرِ.

-٤-

سِرْ معي يُحفَرْ على الأرض اليقينُ
والحنينُ.
سِرْ معي نفتحْ على المغلق بابا
وكتابا.
سرْ معي تُشْبَكْ على الحلمْ الجفونُ
ويكونُ
كلُّ ما ليس يكونُ.

ـ ٥ ـ

في روابينا نداءاتٌ ترودُ
موطناً بكراً جديدا،
إنَّ في التيه شريدا
سيعودُ.

ـ ٦ ـ

حولك العالمُ تَعْبانٌ وفي عينيه ظُلَمهْ
لا يرى، لا ينقش اللّفتة في المغمض نجمَه.
وهو لا ينسجُ للصبح رداءَهْ
وبهاءَهْ.
لا تَسلْهُ
رملهُ نشَّفَ نبعَهْ
وانتشلْهُ،
تحرقُ العتْمةَ شمعَهْ.

ـ ٧ ـ

عِبْرَ أيامكَ في المستقبلِ
موعدٌ لم ينجل.
لكَ فيه طفلةٌ ترضع، كالثّدي، السِّنينا

وتُسوّي لك يسراها، من الحبّ، يمينا.
لك فيه قلقٌ مدَّ يديهِ
وطوى الكون إليهِ،
لك فيه قِصَّةٌ لم تكملِ
قِصَّة المستقبلِ.

-٨-

زندكَ المتعبُ يجري نَهَراً، يرفع بيتا
وهْو في قنديلنا الشّاحب يسّاقط زيتا.
ها هنا يسبح غيمه
وتعاريش وخيمه
أنتَ صلّيتَ عليها وانحنيتَ:
زندُ، يا مُتعَبُ، يا خالِقُ، من أين أتيتَ؟

-٩-

في سواد الأُفُقِ
تتهاوى صاعِقَهْ
حُمِّلَت بالشّفَقِ
بالفصول العاشِقَهْ

- ١٠ -

عندنا تنبتُ للصَّخر جفونُ
وعيونُ
عندنا يُنْسَجُ للغيم سريرُ
وحصيرُ
عندنا تشعر كالناس الجبالُ
والتّلالُ
كل شيءٍ عندنا يحمل فأسهْ
ويُغيرُ،
ينتضِي كالحتْم بأسَهْ
ويسيرُ.
كلُّ شيءٍ عندنا ينحتُ صدرَهْ
بيديهِ
نَاغهِ واحْنُ عليهِ
يُكشَفِ المجهول عبرَه.

- ١١ -

كلُّ جرحٍ
هو في آفاقنا طلّةُ صبْحٍ.

-١٢-

بُحَّ صوتُهْ
هو كالشرنقة الصفراء، يحيا فيه موتُه.
شاردُ حَطَّ خطاهُ فوق زلَّهْ
وهَوى، إلاّ أقلَّهْ
ليس يدري، أهو القبر، أم القبر سواهُ؟

-١٣-

يا أغاني في حناياه تمورُ
وتثورُ...
زَنِّريه
واغمريه،
واكتبي فوق ترابهْ
بعضَ ما بِهْ؛
فهوُ الآن، كما صُوِّر، فحمَهْ،
وغداً يطلع نجمه.

-١٤-

أين ذنبي،
حينما أوقظ للثورة قلبي

وأصلّي لدواليهِ، لريفهْ
لخريفه،
وأنقيّهِ، أُنقّي خفقاتِهْ
من سُباته
من دياجير حياتِهْ . .
أين ذنبي
حينما أفتح للعالم قلبي؟

- ١٥ -

في بلادي تشرق الشمس المضيئه
كالخطيئه .

- ١٦ -

أيّ نار
لم تصلصلْ: «قلبهُ اللاَّهِبُ جمري وأواري»
أيّ فرقدْ
لم يقل: «عيناه معبدْ».

(صوت)

أنا، هذا الضّحى لَمَمْتُ انْبعاثاتي
وسوّيتُها لشعبيَ عيدا -
فليكنْ بعديَ الضّحى تقليدا .

البعث والرماد

(قصيدة في أربعة أناشيد)

١ـ الحلم

أحلمُ أنّ في يديّ جمرةً
آتيةً على جناح طائرِ
من أُفُقٍ مغامرِ
أشمّ فيها لهَباً ـ قَرطْاجَةَ العُصورِ
ألمح فيها امْرأةً
يُقال صار شعرُها سفينةً؛
ألمح فيها امْرأةً ـ ذبيحةَ المصيرِ.

أحلم أنّ رئتيّ جمرةٌ
يخطفني بخورُها يطيرُ بي لِبعلبَكَّ،
بَعْلَبَكُّ مَذْبَحٌ،
يُقال فيه طائرٌ مولّهٌ بموته
وقيل باسْمِ غدِه الجديد باسم بعثِهِ

يحترقُ
والشمسُ من حصادِهِ والأُفُقُ .

٢ـ نشيد الغربة

فينيقُ، إذْ يحضنك اللهيبُ أيَّ أُفُقٍ ترودُهُ؟
والزَّغَبُ الضائعُ كيف تهتدي لمثلِهِ؟
وحينما يغمركَ الرمادُ، أيَّ عالَمٍ تحسّهُ
وما هو الثور الذي تريدهُ ـ اللّونُ الذي تحبّه؟
وما تُعاني حينما تهمَدُ كل خلجةٍ؟
والسَّحَرُ الذي امتلكتَ شمسَهُ الأميرهْ
فينيقُ، ما يكونُ؟
وما تكون الكِلْمةُ الأخيرةُ ـ الإشارةُ الأخيرهْ؟

غُربتكَ التي تُميت، غُرْبتي
غربتك التي تُحبّ، تنتشي
غربتكَ التي تموتُ هلَعاً لغيرها
غربتكَ التي تموتُ وَلَعاً بغيرها

غربتكَ التي تميتُ، غربتي ـ لا أُمَّ فوق صدركَ الموثَقِ
باختناقهِ
لا أبَ يُحييكَ حنوٌّ قلبهِ.
غربتك، الوحيد فيها، غربتي
غربةُ كلِّ خالقٍ يحترقُ
يُولَدُ فيهِ الأفقُ.

أغنيتي، يقال عن أغنيتي،
غريبةٌ،
ليس بها من الرّكام وترٌ ولا صدى
وجبهتي، كما يقال، مثلها غريبةٌ
غربتك التي تُميتُ غُرْبتي
أزحتُ عن وجوديَ الركام والفراغ والدُّجى
بلهفتي إلى السِّوى ـ بحبيَّ العظيمِ؛ لا تزال خلفيَ البوابةُ
الكبيرةُ السلاسلُ ـ الفراغ والركام والدُّجى،
ترصدني، تُعلِّقُ التفاتها بخطوتي.
مُشرَّدٌ أحبُّ حتى المالئين جبهتي سلاسلاً
ألكامنينَ في الدروب غيلةً
مُشرَّدٌ أحسّني طفولةً
أُحسُّني أرفعُ بعلبكّيَ العاشقةَ، الوالهةَ الحجارْ

أحترقُ،
يكبر فيَّ الأفقُ ـ يولَدُ فيَّ الأُفقُ
وحينما يَسْتيقِظُ الصباحُ
يطلعُ لي، من أوّلٍ، جناحُ
مثلكَ يا فينيقْ
يا أيّها الرفيق.

للموت، يا فينيق، في شبابنا
للموت في حياتنا
منابعٌ، بيادرٌ
ليس رياحَ وحدةٍ،
ولا صدى القبور في خطورهِ.
وأمس ماتَ واحدٌ
خبا وعاد وهجهُ
كان يُرى بحيرةً من كَرَزٍ
حريقةً من الضياء، موعداً.
خبا وعاد وهجهُ
من الرماد والدجى
تأجَّجا.
وها، له أجنحةٌ بعدد الزهور في بلادنا

بعدد الأيام والسنين والحصى
مثلك يا فينيقُ فاض حبُّه
علا ، أحسَّ جوعَنا له ، فماتَ ـ مات باسطاً
جناحَهُ ، محتضناً حتى الذي رمَّدهُ .

مثلك يا فينيقْ
يا حاضنَ الربيعِ واللهَبْ
يا طيريَ الوديعَ كالتعبْ ،
يا رائدَ الطريقْ .

٣ ـ رماد عائشة

سمعتُ أنَّ عندنا
سمعتُ أنّ بيننا
ثلاثةً من الركام يعشقون موتهم
واحدهم مغارَةٌ
والآخران صَدَأٌ :
«رَبّاهُ ، لو نموتُ ، صار لحمُنا
شرائحاً من الحصى .
رباه ، لو نموت . كان عمرُنا عبادةً
فجدْ لنا بدارِكَ
بأبَدٍ يدومُ في جوارِكَ» .

ثلاثةٌ من الفراغ
واحدٌ مغارةٌ

والآخران صَدَأٌ :
«ربّاه، كم تزلزل الجدارُ في عظامنا
وانطفأَ السراج والصَّباح في عيوننا
وجمدت صلاتنا على اسمكَ القديمِ
ونسيتْ قلوبنا اللذائذ الخطايا
آملةً بوعدكَ الكريمِ».

ثلاثةٌ من الركام، يكبرون كالحصى
وكالحصى يفكّرونَ، واحدٌ مغارةٌ
والآخرانِ صَدَأٌ، صدىً لها:
«يا ربّ صرتُ آخراً:
(مفاصلي مسامرٌ
وركبتاي خشبٌ).
ربّيَ هيّىءْ موضعاً مباركاً لعبدكَ الذليل
هَبْني مقعداً منّعماً أكوابه من ذهبٍ
وفضةٍ، ولْدانُه مخلَّدون ـ
هبنيَ الخلود في جواركَ الحبيب، يا إلَهي».
ثلاثةٌ من الفراغ يكرهون عمرهم
فللفراغ عندنا
مجامرٌ كبعلبكّ؛ للفراغ نارُه وموته وبعثهُ:

ما أروعَ الحريقَ، ما أجلَّهُ
ما أعظم العراكَ، أيّ بطلٍ سينتهي
لمن يكون الزمن الذي يجيءُ،
والعراكُ هل يموت، هل يخفُّ، هل يظلّ قائماً؟

عائشةٌ جارتنا العجوز مثلِ قفص مُعلّقٍ،
تؤمن بالركام والفراغ والطُّرَرْ
وبالقضاء والقدَرْ
أهدابها منازِل النجومِ، كلّ نجمةٍ خبرْ
عائشةٌ تقول إنّ عمرنا سحابةٌ بلا مطرْ
تقول إنّ الأرض أبشعُ الأكرْ
صوّرها الإله تحتَ عرشِهِ
ومن عَلٌ دحْرجَها
خطيئةً كأنّها البشرْ:
«يا ويلَ، ويلَ من كفرْ
يا سَعْدَهُ من اعتبرْ».
عائشةٌ جارتنا تقيّةٌ،
يحبّها القريبُ والبعيدُ
والمدُنُ الكثيرة الشوارع المزيّنات بالطُّرَرْ.
يحبّها الحاضرُ في بلادنا، الكامنُ فيها ورَماً

ولافتاتِ زيتةٍ
وقفصاً من الذباب أخضراً .
عائشةٌ جارتنا تقيّةٌ ،
حياتها جلودُ صوفٍ وخرافٌ ورَعٍ
وحكمةٌ تعودُ بالأرض إلى سديمها
تحتجز الحياة في تكيَّةٍ
من ورَقِ الرمالِ
وطُحْلبِ الليالي .
عائشةٌ جارتنا ، فينيقنا الجديدُ في حياتنا
كبيرةٌ فارعة القوام تأخذ البصرْ
وتأخذ القلوب ، يا فينيق ، والفِكَرْ
كأنها القمرْ.

٤ ـ ترتيلة البعث

فينيقُ، يا فِينيقْ
يا طائرَ الحنين والحريقْ
يا ريشةً
ساحبةً وراءها الظلام والبريقْ
مُسافرٌ خُطاك عُمْر زهرةٍ
لفتتكَ انخطافةٌ وناظراك مِنجمٌ،
مُسافرٌ زمانك الغدُ الذي خلقتهُ
زمانكَ الغدُ ـ الحضورُ السرمديُّ في الغدِ
لموعدٍ:

به تصير خالقاً، به تصير طينةً
تتّحدُ السماء فيك والثرى
فينيقُ في طريقك التفتْ لنا
فينيقُ حُنَّ واتَّئدْ

فينيقُ مُتْ، فينيقُ مُتْ
فينيقُ، وَلْتبدأ بْكَ الحرائقُ
لِتبدأ الشقائقُ
لِتبدأ الحياةُ
فينيق، يا رمادُ، يا صلاةُ.

نِيرانُنا جامحة الأوارِ كي يُولدَ فينا بَطَلٌ
مدينةٌ جديدةٌ
نيراننا الخفيّة الحدودِ في جذورنا
تمجّد الهُنَيْهَةَ التي بها
يحترق العالم كي يصيرَ عالماً مثلَ
اسمكَ ـ الرّمادِ والتجدّدِ
مثل اسمكَ ـ الحياةِ والمحبّة التي تموت فديةً،
تحرقنا، تربطنا بريشكَ المُرمَّدِ
لِنهتدي.

فينيقُ، أنت من يرى ظلامَنا
يحسُّ كيف نَمّحي
فينيقُ مُتْ فدىً لنا
فينيقُ ولْتبدأْ بك الحرائقُ
لتبدأَ الشقائقُ

لتبدأ الحياةُ،
يا أنت، يا رمادُ يا صلاةُ.

فينيقُ، يا فينيقْ
في معزلٍ عن الفراغ واليباب والدجى
عن السِّوى،
أرى إليك تجمع الزمان ـ هذا الحطب الحلوبَ
مثل منبعٍ
ترفعه حريقةٌ

أرى إلى جناحك انتشى، علا، هوى
أرى إليك في اللهيب غارقاً
في معزلٍ عن الرمال واليباب والدجى
أرى إليك لهباً، أرى إليك جمرة غريبةً
أليفةً ضاحكةً إلى الضّحى
في عزلةٍ عن الركام واليباب والدجى
أرى أرى رمادَكَ
كأنه استعادكَ
كأنه أعادكَ.
فينيقْ خلِّ بصري عليكَ، خلِّ بصري:
ألمحْ خلال ناركَ الغيبَ الذي يختبىءُ ـ الذي

يلفَ جُرْحَنا ،
وألمح الركام والرمال والدجى
والله في قماطهِ، الله الذي تلبسه أيامنا
حرائقاً وغُصصاً وجدُرا
تلبسه ولا تَرى .

وافرَحا . . .
«سيدتي، يا كتفَ الاسمنت، يا خواصِر الحديد، يا تكيَّةً
تهدّمتْ، ولا تزال حيّةً عامرة .
سيدتي أنا اسميَ التجدّدُ
أنا اسميَ الغدُ
الغدُ الذي يقتربُ ـ الغد الذي يبتعدُ .
في مهجتي حريقةٌ ذبيحةٌ
فينيقُ سرّ مهجتي
وُحِّد بي، وباسْمِهِ عرفت شكلَ حاضري
وباسْمِهِ أعيش نار حاضري ،
سيدتي العجوز لستُ شاعراً
بالخطر الذي ترين، ها يدي مليئةٌ بلحمها
هادرةٌ بدمها
وها أنا أسيرُ، دائماً أسيرُ، خطوتي

تحبّني، وقدمي عاشقةٌ غُبارَها، نافضةٌ غبارها
ولا أزال شاعراً بِقُوتي
صدريَ في علوّهِ،
وجبهتي كأرزةٍ».

وافرَحا...
«يُفْتَحُ صدر عالم أهدابه المحبةُ
البساطةُ، الغدُ الذي لا تضمر الشمس احتمالَ مثلهِ.
تحضننا الألوهةُ الرائمةُ التي تحسّ مثلنا ـ التي تحُسُّ معنا».
فينيقُ خلٍّ بصري عليك، خلٍّ بصري،
فينيق مُتْ، فينيق مُتْ
فينيق، تلك لحظة انبعاثكَ الجديدِ:
صار شبَهُ الرمادِ، صار شرَراً
والغابرُ استفاق من سُباتِه
ودبّ في حضورنا:
«البَطل استدار صوب خصمِه
للوحشِ ألفُ خنجرٍ
أنيابهُ مطاحنٌ
والظُّفُر السَّنينُ سُمُّ حَيَّةٍ.
والبطلُ القويُّ مثلُ حمَلٍ

تَمّوزُ مثلُ حَملٍ ـ مع الربيع طافرُ
مع الزهور والحقول والجداولِ
النّجميِّةِ العاشقة المياهِ،
تموز نهرُ شررٍ تغوص في قرارهِ
السماءُ. تموزُ غُصنُ كرْمةٍ
تُخبئه الطيور في أعشاشِها،
تموزُ كالإِلَهِ.

البَطل استدار صوب خصمِه
تموز يستدير نحو خصمه:
أحشاؤه نابعةٌ شقائقاً
ووجههُ غمائمٌ، حدائق من المطرْ.
ودمُه، ها دمُه جرى
سواقياً صغيرةً تجمَّعت وكبرتْ
وأصبحتْ نَهرْ
ولا يزال جارياً ـ ليس بعيداً من هُنا ـ
أحمرَ يخطف البصرْ.
واندثَر الوحشُ وظلَّ خصمهُ الإِلَهْ
ظلَّ معَنا شقائقاً
جداولاً من الزَّهَرْ

وظلٌ في النَهر» .

ألبَطل اهتدى، مضى لموتِه
لا ، لن أرى جبينه الغريقَ في غيومهِ
الغريقَ في بذورهِ
ولن أخيطَ صدرَه ببؤبؤي
لا ، لن أراه مطراً وجُثةً من الرياحِ
مطراً وجُثةً من الحقولِ والحصادِ
لن أرى صوّانةَ الحياة في رمادِه
ففي غدٍ أرى إليه صورةً جديدةً في بطلٍ يُحبّه
وفي غدٍ أسمعه أغنيةً حزينة مفرحةً .

فينيقُ، تلك لحظةُ انبعاثك الجديدِ؛
صار شبَهُ الرمادِ صار شرراً ولهباً كواكبيّاً
والربيع دبَّ في الجذور، في الثرى،
أزاح رملَ أمسنا ـ العجوزَ والثلاثةَ:
الركام والفراغ والدُّجى،
فينيقُ خلِّ جبهتي أسيرةً لديْك في عُلوِّكَ البعيدِ عن جفوننا،
البعيد عن أكفّنا
وخَلّني لمرَّة أخيرةٍ، الامس الترابَ في جناحك الرَّميم ـ
خلّني

لمرَّة أخيرةٍ
أحلمُ أن رئتيَّ جمرةٌ
آتيةٌ على جناح طائرٍ
من أفقٍ مغامرٍ،
وخلِّني أشمُّ فيها اللهب الهياكليَّ، ـ ربّما لِصوَر فيها سِمةٌ
وربّما تجسدت قرطاجةٌ:
دقائقُ الغبار فيها لهبٌ
وخلِّني لمرةٍ أخيرةٍ
أحلم أنَّ رئتيَّ جمرةٌ
يأخذني بخورُها، يطيرُ بي؛
وخلِّني لمرة أخيرةٍ:
ها ركبتي حنيتُها
وها جلست خاشعاً
فخلِّني لمرَّة أخيرةٍ أحلم يا فينيقْ
أحتضن الحريقْ
أَغيب في الحريقْ
فينيق، يا فينيقْ
يا رائدَ الطريقْ.

(بيروت، ١٠/ ٥/ ٥٧)

مجنون بين الموتى

[مأساة في أربعة مشاهد]

(يصور هذا العمل عالم جندي خرج من الحرب، وقد أصيب بخلل عقلي وتشوّه في آن معاً. فهو يتخيل دائماً أنه يتحدث مع أصوات الذين رآهم، بملء عينيه، يقتلون حوله: ذلك انفلقت جبهته، وهذا تفزّرت أحشاؤه، والآخر يحشرج، وغيرهُ فُتِّتَ نثرة، نثرة).

الأشخاص

الجندي المجنون المشوه، أصوات، الصدى.

المشهد الأول

الجندي، الصدى

[الليل هادىء، صافٍ. يشرف الجندي، في وقفته، قريباً من بيته المنعزل في طرف القرية، على وادٍ سحيق].

الجندي: (يغني وهو يربط خيط حذائه العسكري الذي بقي معه لسبب ما).

تنهض بي وترتمي
مطرقةٌ من الدم
كأنما طنينها
يحبسني في قمقم

الصدى: مِ . . . مي . . .

الجندي: (لم ينته من ربط حذائه)

بِيَ الروابي تُمهَدُ
بِيَ الزمانُ يُحصَدُ
خرافة الحياةِ

والبدء والممات
مرسومةً بشكلي
محفورة بذاتي.

الصدى: تي.. تي...

الجندي: (متابعاً غناءه).
كنتُ وما برحتُ
شيئاً من الكفاحِ
واليأس والجراحِ
لو متّ لاسترحتُ.

الصدى: تُ... تُ...

الجندي: (يجلس وهو يغني)
لأيّ جمالٍ وحبٍّ وخيرِ
أحارب غيري؟
لأيّ قضيهْ
أوسِّخ بالحقد، فِيّ، عروقي وكلّ شعورٍ
وكل خليَّهْ؟
(يتوقف لحظة ثم يتابع)
لِلاشيءَ أصبغ بالأفك عيني،
وجبهة أرضي

وأختق نبضي،
وأفصل بين الوجود وبيني.

الصدى: نِي... نِي...

الجندي: (يتابع غناءه وهو يفك من جديد سيور حذائه).

خَرَسُ الأصداء في سمعي تفوَّهْ
أنني صرتُ مشوَّهْ
يَضْمُرُ الممكنُ في نفسيَ والشكل الصحيحُ
كلّ ما شئت سرابٌ كلّ ما جمَّعت ريحُ.

(ينهض، ثم يتابع بشيء من الرعشة)

في عروقي قلقُ
في جفوني أرقُ
ولكم أكره فِيَّ القلقا
والأرَقا
ونجومَ الليل، والليلَ وهذا الأفقا.

الصدى: (ويسمع طويلاً حاداً)

قا... قا...

المشهد الثاني

أصوات، الجندي، الصدى

(يتمدد الجندي على العشب، كأنه يريد أن ينام، يزداد لمعان النجوم تألقاً، تبدو للهدوء الشامل أغوار أخرى) .

صوت : يا عابر الطريق
مُرّ على شقيقي
وابحثْ خلال بيتي
عن كفنٍ لميتِ:
عباءةٍ طرَّزتها بقصب العقيقِ
يا عابر الطريق

الصدى : ق. . . قي. . .

صوت آخر: يا أيها الخيالُ
عنِّيَ ما يقالُ؟
مَن مات ، مَن تبقّى؟
من سادَ واسْتَرقَّا؟

بعدي، بعد موتي ما قِيل؟ ما يُقالُ؟
هل بطل السؤالُ
هل أمكن المحالُ؟
يا أيها الخيالُ

الصدى: قا. . . ما. . . لوُ. . . لوُ. . .

صوت آخر: كان في جيبيَ الصغير قصيدهْ
كتبتهـا مفاصلــي وشراييـنـــي وأودعتهـا الحياةَ الجديده
كيف صارت؟ وأين؟ أشعر أني غائبٌ، هَمَّ ضوءُها أن يُعيدهْ.

الصدى: (لا يسمع)

صوت آخر: أسمع همس طفلٍ غُمِّس بالدّموعِ
يلعبُ في ضلوعي،
أحسّه أماميَ ضرعاً من الضّروع،
يطفر في الرَّوابي يضيع في الزروعِ.

الصدى: عِي. . . عِي. . .

الجندي: (ينتفض مذعوراً، يلتفت يمنة ويسرة، ويحدق أمامه).
ماذا يُريد الصدى مِنّيَ. . . ماذا يُريدْ؟

وفيٍّ من رَجْعهِ ألفُ فمٍ أو يزيدْ. . .

(يتابع محدقاً، يداه خشبتان، وصدره مغارة).

ما العارُ، ما الغارُ؟
ما الفرقُ، في موتيَ، إن ضمَّني
نَبعٌ، أو اجْتَثَّتنيَ النَّارُ؟
وجودُنا محض سديميَّةٍ
ونحن في السديم أقدارُ
ليس مع الموت جديدٌ يُرى
وليس في الحياة أسرارُ.

الصدى: (أقوى هذه المرة، وأكثر حدة)

رُو. . . رُو. . . رُو. . .

[ينهض الجندي، سيور حذائه محلولة، حاسر الرأس. . . يده اليمنى تتحرك كأنها قطعة واحدة معلقة بمسمار في حائط كتفه واليسرى كأنها تحتضن خاصرته].

المشهد الثالث

أصوات، الجندي، الصدى

[لا يزال الجندي واقفاً. يجلس قريباً من مكانه الأول. في هذه اللحظة يسقط شهابٌ من السماء، ويعكر الهدوء الشامل عواء ابن آوى. هاتان الحادثتان تثيران فيه، كما يبدو، مشاعر مبهمة غريبة تنطق بها قسمات وجهه. يعاود تمدده، ويود لو ينام].

صوت: عِشْ للحظةْ
واقتحمْها
واغتنمها
كلَّ شيء، بعدها، وهمٌ ولفظةْ.

الصدى: (لا يسمع)

صوت آخر: قُلْ لطفلي
أن يرى العالم والأشياء مثلي.

الصدى: (لا يكاد يسمع) ل. . .

صوت آخر: سوٍّ صدري وبقايا اللحم فيه وصليبَهْ
أغنياتٍ للحبيبه .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر: أكره الناس كأَنهم أكره الحياةْ
أيِّ شيء يخافه من تخطّاهمُ، ومات؟

الصدى: يا . . . حاتْ . . .

صوت آخر: كنتُ أحيا كالغرابِ البَرِصِ
نثرةً في قفصِ .

الصدى: صِ . . . صي . . .

صوت آخر: كحذائي
يبرق العالم شمسيّ الرّواءِ
وكوجهي كلّ كنْهِ.

الصدى: نِي . . . هِي . . .

صوت آخر: عند جيْبي .
تنتهي الدنيا ويبدو كلُّ غيْبِ .

الصدى: بِ . . . بي . . .

الجندي : (وكأنه يتحدث بلا وعيه)

من أنا . . . أيّ عُصافَه

تخذت شكل خرافَهْ؟

الجندي : (متابعاً وكأنه لم يسمع شيئاً)

كالحجَرَهْ

لا أشعرُ

لا أقدرُ

جُسَدَ عُمْري في حذاءِ هَرِيءٍ، في مَطرهْ.

صوت : (يصعد قوياً، حاداً)

قم ِ انهض ِ

واهربْ من الموت وشمِّرْ واركض ِ .

الجندي : (ينتفض، ويجلس، قدماه ممدودتان، ودلائل الخبل على وجهه.

يا . . . كيف، كيف أنهَضُ

والموت في مفاصلي

في داخلي

يفتح عينيه على تشوّهي، ويُغمضُ.

(يتوقف برهة، ثم يقول متابعاً):

في جسدي ثِقْلُ الزمنْ

ثقل الخراب والدِّمَن

في جسدي يدُ الكفنْ
يدُ العَفَنْ .
(بعد فترة وجيزة ، وبلا مبالاة)
فيه الكيانُ المحضُ واللاكيانْ
كالموج ، في الصراع ، لا يهدآن
لا الأمس من عُمْري ولا أيّ آنْ .

المشهد الرابع

الجندي، الأصوات، الصدى

[ينهض الجندي، ويتمشى بخطوات وئيدة في منحدر الوادي، حاسر الرأس، ولا تزال سيور حذائه محلولة].

الجندي: (متمتماً) ما المصيرُ؟

صوت: (عميقاً، مديداً، يبدو كأنه صدى).

شَلَلٌ، طِرْحُ... يطيرُ.

الجندي: (وهو يضرب الحصى بقدمه اليمنى)

ما الإلَهُ؟

الصوت والصدى معاً: كلّ ما كانَ سواهُ.

الجندي: (متطلعاً إلى فوق):

ما المغيّبْ؟

الصوت والصدى معاً: حاضرٌ بالظنِّ، بالخوف يُطيّبْ.

الجندي: (غاضّاً بصره) ما البدايهْ؟

الصوت والصدى معاً : كلّ ما صار نهايهْ.

الجندي : (وهو يضغط على جبينه بأصابع يده اليسرى، ويده اليمنى في جيبه).

ما الحقيقهْ؟

الصوت، فقط: شُرطَيٌّ شقّ بالسوط، طريقَهْ.

الجندي : (ملتفتاً وراءه، نحو بيته)

ما الزمانْ؟

الصوت والصدى معاً : ضفدعٌ نقّ، ورملٌ ودخانْ

الجندي : (متوقفاً عن سيره الوئيد)

ما الحياةُ؟

الصوت والصدى معاً : سِرْبُ أطفالِ صغارٍ.

عمَروا كوخاً من العشب وماتوا.

[يحاول الجندي أن يتابع سيره، فيعثر، ويسقط، ويتدحرج على المنحدر. . . في هذه اللحظة، يختلط كل شيء، الأصوات والأصداء وصوت الجندي وصوت تدحرجه. . . ويبدو العالم كأنه عاد إلى السديم]

(القنيطرة، ٢/ ٢/ ١٩٥٦)

السديم

[مأساة في ثلاثة أدوار]

إلى مجانين العالم

[تعبِّر هذه المأساة عن مرحلة نفسية عشتها. حين كتبتها كنت أجلس، فعلاً، في غرفة صغيرة مع ثلاثة مجانين، وكنت أشعر أن العالم يبدو لي من خلالهم).

الحياة قصة يرويها أبله.

شكسبير

يمكن للحقيقيّ أحياناً، ألاّ يشابه الحق.

بوالو

من المعقول أن تحدث أشياء كثيرة ضد المعقول.

أغاتون

الأشخاص

المجنون الأول، المجنون الثاني، المجنون الثالث

الدور الأول

[المكان غرفة صغيرة، جدرانها تراب مدهون بالأصفر والأزرق، سقفها أشبه ببيت عنكبوت، خيوطه من الخشب، فيها أربع طاقات، ثلاث منها مغلقة ـ والأصح مسدودة ـ. تكسوها حصرٌ التصقت بصحنها، نتنة ترشح بالموت، يقبع في احدى زواياها ثلاثة أشخاص: رأس الأول محلوق يلمع كالزيت، شبه عار يلبس قميصاً بنصفي كم، فتح على صدره فتحة دائرية واسعة، في يديه خِرَقٌ أخرى، يعاينها ويتفحصها ويقول إنه يصطاد منها «ذئب النوم»، ويعني القمل.

يتكىء الثاني إلى الجدار، يلتحف بغطاء أسود ممزق، على رأسه شملة معقودة حول عنقه. مثبتة بحزام أحمر عُقد عقدة ذات شعبتين، تسترسل فوق جبهته وتلطم حاجبيه وجفونه أحياناً.

ويحضن الثالث مِزْقة جريدة علق بها شيء من السكر يلحسها بحركة من لسانه، معتوهة، له لحية طويلة يختلط فيها البياض والسواد بشكل يبدو أخاذاً.

الثلاثة غارقون في حديث مبهم يبدو أنه لا ينتهي، رغم أنه ليس في ملامحهم ما يدل على أنهم فعلاً غارقون في مثل هذا الحديث. كانوا أشبه بجزيرة منعزلة بين الأشخاص الآخرين في الغرفة الصغيرة التي تتموج بهم].

المجنون الأول: في داخلي تتكوّنُ
أشياء هذا العالمِ
وبأضلعي تتلوّنُ
وبخاتمي:
هي كالمآسي، بالخديعة والضلال
تُهوَّنُ.

المجنون الثاني: (دون أن يبدو أنه يشارك الأول في حديثه)
ماذا؟ أليس عن القدَرْ
نسَخَ البشَرْ
سِفْرَ الوقائع والمصيرِ
وتفكّروا
وتبصّروا:
فهُنا الحقيقةُ كالنُّفاضة لوّثت طرف

الحصيرِ
وهنا الضّحى يتحلْزَنُ
فوضى: صباحُ لا يُرى وألوهةٌ تتوثَّنُ.

المجنون الثالث: (بلهجة صوفية وكأنه أدرك ما قيل)
يا شمسُ لونكِ حائلُ
يا أرضُ أسُّكِ مائلُ:
للصخر أردافٌ تُهَزُّ وللتراب جدائلُ.

المجنون الأول: (بسرعة) ماذا تقولُ؟

المجنون الثالث: حبلت بقاتلها العقولُ.

[تخيِّم فترة من الصمت الغبيّ يعكّر هدوءه المجنون الثاني، وهو يلكز المجنون الثالث قائلاً].

المجنون الثاني: حَدّقْ، جدارُ الغرفة السوداء

المجنون الثالث: (ببلاهة) ماذا؟

المجنون الثاني: ينطقُ
في مقلتيه زئبقُ
يتلو صحائف قلبه ويعيدها ويمزّقُ.
حدّق، أراه يُحدّق.

المجنون الثالث : (يلتفت فتقع عينه على ثقب في الجدار)

ذاك ثقبُ

عبره تنشب حربُ .

المجنون الأول : (وهو يلتفت إلى الجدار ويحدّق فيه)

تلك فُتْحَه

عندها خبّأ ليل العُمر صبُحَهْ .

والزّوايا

هي للموت مرايا .

المجنون الثاني : (ببرودة) للجدارِ

عنقٌ لفّ بغارِ

وشرارِ

سطحهُ كأسٌ وخمرٌ وثناياه جواري .

(يلتفت إلى المجنون الصامت ويتابع)

لبس الحائط خُفَّهْ

مَدّ كفّه

وعلى العالم سلَّمْ

(يتابع مقهقهاً)

يا . . . تكلَّمْ .

الدور الثاني

[المكان ذاته. المجنون الأول يجلس القرفصاءه يده اليسرى تلعب فوق ركبتيه. عيناه ضائعتان. يده اليمنى تحك تارة صدره وتارة رأسه. يجلس الثاني ويده اليمنى تسند ذقنه، واليسرى لا مكان ثابت لها. أما الثالث فعيناه إلى الأرض].

المجنون الثالث: (يسمع وقع أقدام) ما الناسُ، ما سوانا؟

المجنون الأول: (بلهفة) دودٌ على خطانا
ومنخرا ذبابَهْ،
ملساءَ كالسّحابهْ.

المجنون الثالث: (بسرعة) وحُفَرٌ مليئهْ
بالقَيْءِ والخطيئهْ.

الدور الثالث

[المجانين الثلاثة يتضاحكون ويتهامسون بحركة لا تفتر. قام الأول وخطا بضع خطوات، ثم عاد وجلس. وتمدد الثاني وهو يتثاءب. ثم رجع إلى وضعه الأول. والثالث يفرك يديه].

المجنون الثالث: (مشيراً إلى تزاويق على الجدار)

في مدى هذي الحديقهْ
ألفُ بحرٍ وحريقهْ

المجنون الأول: (بشيء من الحدة) لم تقل أنت الحقيقهْ
هذه خيطان سحرٍ قُزَحيّاتٌ رقيقهْ
صاغت السلّم طيرا
وبياضَ الكلس ديرا.

المجنون الثاني: (متطلعاً من الطاقة المفتوحة، مشيراً إلى ما يبدو منها، من الفضاء).

أيّ شيء هو هذا
ولماذا؟

المجنون الثالث : (بتعقل الشيخوخة)
هو بحرٌ من هواءٍ صيغ للشمس مَلاذا،
وهو للعميان مرسمْ
ولجُرحِ الموت بلسَمْ.

المجنون الأول : والطّيورُ
أُكَرٌ فيه تدورُ.

المجنون الثالث : (يُفَاجأ بفراشة تدخل من الطاقة، فيصيح)
ها فراشَهْ،
بجناحيها كَسا الأفقُ فِراشَهْ.

المجنون الأول : (يظن أن الفراشة سنونو، فيصيح وكأنه لم يسمع ما قاله المجنون الثالث).

ها، سنونو
آه لو أنيَ كالطير أكونُ
آهِ، لو أني حمامه
أو غمامَه.

[يصمت الثلاثة فترة قصيرة ثم يفاجئهم

المجنون الثالث قائلاً وهو يشير إلى جملة الأشياء، حواليهم].

المجنون الثالث: هذه الأشياء سوداء غريبهْ

المجنون الثاني: (بلهجة مكتشفة)

هي لم تكتب على لوح الخرافات العجيبه
لم تُبيَّنْ.

المجنون الثالث: هي في الخلق سديمٌ بعده لم يَتعيَّنْ.

(يصمت ثم يتابع، وكأنه يضرب أمثلة)

ألرّوابي
صلواتٌ وخوابي.
والجدارُ
قفصٌ يبكي ونارُ.

المجنون الأول: (مقلداً لهجة المجنون الثالث)

والحَصاةُ
شهدُ نحلٍ لا يُسمّى
قطّرت منه الحياةُ
هي في النشأة أفعى
وهي في الرجعى صلاة.
والمآذنْ.

المجنون الثالث : (مقاطعاً) هي للصّوت مخازنْ.
(يصمت، ثم يتابع بلهجة الحكيم)
كلّ عُرْفٍ.
محض إشكالٍ وخُلفٍ.

المجنون الثاني : (بلهجة الحكيم أيضاً) والعالم اختلاطُ
وحجرٌ يخاطُ
وموجة تهندَسُ
وهو، أَوانَ يُدرَسُ
كتابةٌ منبهمه
تُزري بكلّ ترجَمه.

المجنون الأول : (بشيء من العبوس)
من محالِ الكون أن تمحوَ
في الكون الخطيئَه
فهي للخلق بناءُ
ورداءُ
وهي بالحقّ مليئَه.

المجنون الثالث : (بفرح ممزوج بالحزن)
ومن الباطل أن تُقْصَى عن الباطل أرضُ
فهو في العالم فَرْضُ.

ـاني: (بنبرة موافقة)

نظِّفِ الأرضَ من الشرِّ، فلن تلمحَ خيراً

واحذفِ الأفقَ يصرْ كلّ دبيبٍ فيه طيرا.

المجنون الأول: (بابتسامة خفيفة)

لتكونا

لتصير الجوهرَ العالي على كلِّ حياةٍ

ومماتٍ،

عدْ سكونا

صِرْ تُرابا

أو كِتابا.

(تمر فترة صمت، يضحك المجنون الثالث فجاءة، وهو يقول)

أَلَقُ النَّهار وسادةٌ

وبداية الليل امرأهْ

والموتُ أولُ شاعرٍ

تخذ النِّهايةَ مبدأه.

[تسيطر على الثلاثة بالعدوى، أو بغيرها، نوبة كبيرة من الضحك، فيرقصون ويغنون].

ليس في العالم إمكانٌ للغزِ

أو لرمز

فلقد يختبيء العالم في كسْرةِ خّبز.

(القنيطرة، السجن العسكري، أواخر آذار، 1956)

قصيدة إلى الغريبة

أسألُ ماذا أكتبُ
لزوجتي الغريبةِ ـ العاشقةِ الصَّغيرهْ
وورَقي، إذا حضرتُ، يهربُ
وريشتي في طرَف الجزيره
حمامَةٌ تلتهبُ.
أسألُ ماذا أكتبُ؟
غريبةٌ
أجفانُها سلالمٌ وجُدُرٌ
غريبةٌ لأنّها تحبّ غيرَ نفسِها
لأنّها تحيا لجارٍ بائسٍ
لطفلةٍ شريدةٍ،
لأنّها، الأعمى تقود خطوَهُ
تفرشُ عينيها لَهُ

غريبةٌ لأنّها تبدلُ كلّ مقصلَه
بسنبلَهْ .
لأنّها تحترقُ
لكي تجيءَ الطُّرُقُ .

أعرف أنّ حلَمها يطولُ
أعرف أن شَعْرها يطولُ
أعرف أنَّ سرّها يطولُ
أعرفها . . .
تختصرُ الأرض بخطوتين
تختصرُ الكونَ بلفتتين .
أعرف أنّ بيتها ينتظرُ
ويسهرُ
وأنّه التّجربةُ الصَّميمةُ
الطَّالعةُ ، الآنَ ، غدا
وأنّه الحب الذي يبتكر
ويسهرُ

أسألُ ماذا أُنشدُ
لزوجتي ، لهذه الوالهةِ الخالقةِ الحبَّ على مثالِها ،

أسألُ ماذا أُنشدُ
والحرفُ كم يُقيِّدُ
كم يجهلُ الشّعورَ في المفاصلِ المرهفةِ المرهقَةِ
التي ترى ما لا يُرى ، التي
تدلّ الصُّبح كيف يُشرقُ
والشيءَ كيف ينطقُ
أسألُ ماذا أنشدُ
لزوجتي لغدها المناضلِ
والحرف كم يُقيّدُ
كم يجهل الشعور في المفاصلِ .

لها ، هُنا النوافذ ، الوسادةُ الكتابُ والمجامرُ العتيقةُ الراسمةُ
الأفْقَ بقوس قُزَحِ
بالفَرحِ ،
تنتظرُ
وتسهرُ
مثليَ، مثل بيتِها تنتظرُ
وتسهرُ.

(بيروت ٤/ ١٢/ ١٩٥٦)

من الذاكرة

- ١ -

. . . كم نَفضْنا عن أغانينا الكآبه
وملأنا الأفْقَ أجفاناً، وصِحْنا: يا سَحابه
أَمْطرينا،
نحن ذاك الموسمُ المنتظَرُ
والزّهَرُ،
غافلينا،
وافتحي قُرْبَتَك الملأى وصبيّها علينا
يا سحابه
يا التي جاءت من البحر إلينا.

- ٢ -

. . . في النّهر جَرَيْنا

كالقصبَاتْ
صِرْنا حبَباً، صِرنا ماءً وتخفَّيْنا
في أحضان الجنَّياتْ.
. . . في الأعيادْ
أَشْعلنا الشّمعَ وصلّينا
وتمنيّنا
فرأينا الله بلا ميعَادْ.

كلمات لليأس

حين يُؤاخي صمتَها المنزلُ:
لا عشبَ، لا قُبّرةٌ، لا ندى،
تفتح أهدابها
تفتح شبّاكها
للشمس. . . لكن، قبلَها، تدخل
فراشةٌ محروقةٌ أو صدى

الأطفال

في غبار الصّلواتْ
غرق الفجر وماتْ
لكنَّ الأطفالْ
نبعٌ يحمل وجه الشَّمس
من أمواج الأمسْ
في شلاّل .

اللوحة الأولى

عنـــد بيتنا يطلـــع النّهارْ
وجهـــه طابةٌ في يد الصّغار

وفي شفاه المدينه
جرَسٌ للعويلْ
من ثلاثين جيلْ :
ـ «منسمّي عمّنا

اللّيّ بياخد أمّنا».
ـ ـ «بس الحالة ما بتنطاقْ. . . ».
ـ «يا لله . . . الدهر دولاب».
ضاع وجه المدينه
في فراغٍ ذليلْ.
وبكاء الأطفالْ
يفتح باب الفجرْ
وبكاءُ الأطفالْ
مطر الأرضِ وقودُ العُمرْ.

اللوحة الثانية

لو جَرحنا الصّلوات
وغسلنا بدماء الكلماتْ
فجرَ الأطفالْ،
لو كفَّرنا
ودفنّا الماضي في سِروالْ
باسْمِ الأطفال.
في القدم الحافية الصغيرةْ
خمسُ مسامير ورقصتانِ
والدربُ شبّاكٌ على جزيره

حدودها الجراح والأغاني.

والشّارعُ يومٌ لا يحيا
إلا نعشاً أو وحيا:
ـ «الله الحيّ الباقي...»
ـ «عفوكَ عفوكَ يا ألله».
والكفن الأبيض في الطَّريقْ
والكفنُ الأبيض في التراب
والكفن الأبيض كالغرابْ.
يا ليت... لو نفيقْ

لو جرَحنا الصَّلوات
وغسلنا بدماء الكلمات
فجر الأطفالْ.
سبعين جيلاً نطمس الطريق
نركض في سواهْ
ـ «ما البيتُ، ما الجباه؟»
ـ «كهفانِ من وحلٍ ومن صقيع».
لكنَّ الأطفالْ
روحٌ تجري صوب الله

وتقول: تعالْ
أَلحيّ قبورٌ يا أَلله
أَلحيّ رمالْ.
وغداً في البيتْ
يُبدَل وجهُ الميت
بسريرٍ أو سِروالْ
للأطفالْ.

اللوحة الثالثة

- «رورو ابن السّنونة السّودا
أجا الصّبح سلَّم عليّي وطار
يا رورو لوين بتروح؟
جبلي معك شقفة من السَّما
تطير فيها هُون . . .»

ويطير الأطفال
خلف غزالٍ أو خيّالْ
ويناموnْ
بين الأنجم في سِروالْ.
وهناك عيونْ
تَيْبَس في حُلمٍ مجنون:

ـ مَن ها هُنا؟
(لا ضوءَ لا ستارْ
في الغُرفة المليئهْ
باللَّيل والنَّهارْ،
لم يبقَ إلا ساعَةٌ بطيئه).
ـ مَنْ ها هُنا؟
(وتوقَّفنا
وتسوَّلْنا . . .)
(كان المطعم ذئباً يَسْكرْ
وتمزَّقْنا).

ـ مَن ها هُنا؟
(وانكسرت في نبعنا الجرارْ).
(وليس في دروبنا المليئه
بالوعد والصّخورْ
إلاّ مفاتيحٌ من البخور
لقفصِ الخطيئه).

غرق الفجر وماتْ
في غبار الصلواتْ.

لكن . . .
لكن في التّخْمينْ
في خطرات البالْ
يصعدُ من آبار الطِّينْ
وجهُ الأطفال .

(بيروت ، ١٩٥٨)

مزامير الإله الضائع

١ ـ

هذا الجسَدُ
سِحْرٌ أغوى الأرضا
ألاّ ترضى
ولهيبُ تَشَهٍّ لا يبْتَرِدُ، ـ
من أطفال الجسَدِ الأبَدُ.
فيه نُغرسُ، فيه نَقطَفْ
فيهِ ما لا يُعرفُ، يُعرفْ.
معبدُ قلبي، معبد شعري، معبد عمْري
أعصابي فيه تُوقَد مثل بخور الكاهنِ، مثل الجمر:
آه نداءُ الكاهنِ آهِ ندائي
يصعدُ يصعدُ حتّى وجه القمر الآخَر، حتى أبعَدْ.

- ٢ -

فخذاكِ لذائذُ حُمّائِيَّهْ
لم تُكشَفْ، لم تُعرف بعدُ
فيها يسبحُ فيها يعدو
ويُقاسِمُها كلّ ثنيّهْ
ليلُ الغابات الوحشيّهْ
فخذاكِ وبينهما تنمو أغراسُ الجنْس البحريّهْ
في كلِّ تُويجٍ سنفونيَهْ
فخذاكِ وبينهما القُبَلُ
والعشّاق السُّمر الأوَلُ
والأبطالُ
وفتوحاتٌ
فخذاكِ، وبينهما الأجيالُ
شيءُ يُحضنُ، يُعشَقُ يُعبدُ، كيف يُقالُ؟

عَرّي فخذيكِ، أزيحي التِّينَ
يُسقسقْ نبعٌ، يُفتَح أُفُقُ
وتصرْ أقماراً حتى الخِرَقُ.

يا شهْدي، يا شهدَ الشهوه
يا أرضاً تُجنى في خَلوه
يا قبّه
فيها كلّ نجيٍّ يَشْهدُ ربّهْ.
يا قصراً يعلو تحت الزَّغب
في أحشائِك تيهٌ يجرفُ رَمْلَ التّعَب
في أحشائِك أحيا موج الجنسِ، أكابدُ سورَة مَدِّهْ
أردُ العالمَ في لا حدِّه.
في أحشائِك أعرف أوقن أنّ الآتي
سِرُّ حياتي.
فيكِ أصوّر أبدع، أعْلى آثاري
أوضح أعتم أسراري،
فيك أنشّىءُ، فيك أحقّق أنَّ اللهَ
لا يتناهى.

- ٤ -

حِقْواك مرافىءُ، والنّهدان تُخومٌ سُمرٌ فوق البصرَ
منحوتان بلفح الشرَر،

وعلى السُّرَةِ، كلّ حدودِ الشّهوةِ
كلّ الشّهوةِ فِترُ
أكثر من أرقام الفكر
وأصغر أضيقُ منها الفكرُ.
هذا الجسَدُ
فيهِ يحيا الميتُ
والثّورة تحيا والرّفضُ
ويقول الأبكمُ: غَنّيتُ
وله ينمو، ينمو العدَدُ
وتدور الأرضُ.
نامي، زندي وُلِد الآنَ،
وقلبي مثل الطفل يصيحُ
نامي تتلقّفْك الرّيحُ
تعصفُ، تهدأُ، تأتي تمضي
مثلَ الومض.
نامي في أحشائي نارٌ فيها وَخْزٌ
أنت وجودي أنت الرّمزُ.
يا كلّ حياتي يا إيذاناً
بوجودي أن يتعمَّق غيبَهْ

يا شمساً تخنق تحرق ريبهْ
يا مجهولي، نامي، آن مسيري نحو اللهِ
الضائعِ ، آن وصولي .

(بيروت، ١٩٥٦)

القافلة

تَصْعد في سفينة النِّساءْ
تصعد في معراجْ
لا أرض لا سماءْ
تسألها، من أينْ؟
قافلةٌ من جثث الأمواجْ
لا شيء لا إلَهْ
يسألها، من أيْن؟
تكتب فوق الصّخْرْ:
«حين يموت البحْرْ
يُبعث في نهدينْ» .

ظلّ

ـ «لِيَقِفْ، وليبْقَ خلفَ العتَبَهْ
هو لا يقدر أن يَعْبرها،
إنّ بيتي غابةٌ ملتهبه
وهو لن يجرؤ ـ لن يعبَرها».

خافَ من ظِلٍّ على تاريخهِ
تركْته روحه المغتربه
خاف أن يذكرَها
حُفرتْ أمس ِ على تابوتِه
كلماتٌ . . .
هو أوصانا لكي نحفرَها :
«مات كي يقدر أن يذكرها».

مرثية الأيام الحاضرة

-١-

عرباتُ النفيْ
تجتاز الأسوارْ
بين غناء النفيْ
وزفير النارْ.

الرّيح ثقيلةٌ علينا ورمادُ أيّامِنا يلبسُ الأرض. نلمح روحنا في بريق شفرةٍ أو على طرف خوذة، وفوق جراحنا يَتناثر خريف الممالح.

بعيداً تجرّ المأساة وجهَ تاريخنا، وتاريخنا ذاكرةٌ يثقبها الرّعب، وسهولٌ من الشوك الوحشيّ.

وعبثاً يتزحزح الباب الموصد. ونصرخ ونحلم بالبكاء ولا دمع في العيون.

وبلاديَ امرأةٌ من الحمّى، جسرٌ للملذّات يعبره القراصنة وتصفّق لهم حشود الرمل. ومن شرفاتها البعيدة تلمح عيوننا أشياءَ الناس ـ أضاحيَ لقبور الأطفال، مجامرَ للأولياء، شواهدَ من الحجر الأسود؛ والحقولُ مليئة بالعظام والرّخَم، وتماثيلُ البطولة جيفٌ ناعمة.

ونمضي، صدورنا إلى البحر، وفي كلماتنا يرقد نحيبُ عصرٍ آخر، وكلماتنا لا وريث لها.

نعانق جُزر الوحدة، نشمّ الغرابة البكْر في قُعر الهاوية، ونسمع مراكبنا ترسل خوارها اليائس، واليأس هلالٌ طالع والشرّ في طفولته.

ونمضي، الرّعب يحصد الرّكب، في منحدرات من الوحل والنحيب، والأرض تنزف دماً في خواصرنا والبحر سَدّ أخضر.

- ٢ -

في أيّ ربٍّ جديدْ
تنهض أجسادُنا
ضاق علينا الحديدْ
وضاق جلاّدُنا

باسم خراب سعيدْ
يَيْأس ميلادُنا ـ
ضيّقةٌ جباه أيامنا والسّنون عجفاء راكدة.

أَلحياة هزيلةٌ في هذه الدقائق من العمر. النهارُ لا حواجبَ له، وليس للشمس أهدابٌ طويلة. ولا همس في بَردى والفرات؛ لا لقاح، لا تململ. السلالة عاقرٌ في بلادي وخرساء، والتاريخ يحمل بقاياه إلى أرض أخرى.

أيتها الأرض المفروشة بالوبَر، أيتها الخريطة الجامحة من القمح والنفط والمرافىء، يا أرضاً بلون الهجرة وبلون الرّيح.

ـ هل ستنهض ريحٌ جديدة ضد الرّمل؟

وأنتَ أيها المطر، أيها المطر الذي يغسل الأنقاضَ والخرائب، أيها المطر الذي يغسل الجيف، ترفّق أيضاً واغسلْ هذا التّاريخ.

يجهل أن الصّخرة الجارحةْ
قصيدةٌ مخنوقةٌ في الشفاه
ويفهم الجاموسة النابحه
حَمامةً أو زهرةً أو إلَهْ.

وذات يومٍ تُبعث الحشْرجاتْ
في وطن الضفادع الجائعه
وتنقل الخبزَ لنا والصلاة
جرادةٌ أو نملةٌ ضائعه.

هو ذا اعتراف الرمح التائه،
هوذا أنا
اقتلْني أيها الصّدق.

-٣-

- . . . تَضفّري يا فتوّة بأوراقٍ أكثر اخضراراً. لا يزال الشعر معنا، لا يزال الحلمُ:

لسيحون هذه الأفراس المحمحمة؛ لخراسان هذا الرمّاح. بيتُنا ذَهبٌ على سفوح هملايا، وسمرقند راية. بأهدابنا مسحنا جَسدَ الأرض، بعروقنا ربطنا الأزهار الهاربة. كنا نغسل النهار، والحجر حريرٌ تحت أقدامنا، والأفق صهوة جيادنا، ونعالها الرياح الأربع.

تلك هي دروبُنا - نتزوج الصاعقة، ونملأ الأرضَ بصراخ الأشياء الجديدة.

تلك هي تخومُنا - نحن أكثر اخضراراً من البحر، نحن

أكثر فتوّةً من النهار، والشمس بين أصابعنا نردٌ أخضر.

تلك هي عتبَة المستقبل:

أسمرُ طالعٌ من البحر، مليءٌ بغبطة الفهد، يعلِّم الرفض؛ يمنح أسماءَ جديدة وتحت جفونه يتحفَّز نسر المستقبل.

أسمر طالعٌ من البحر لا تُغويه أعياد الجثث، مليءٌ بالعالم مليء برياحٍ تكنس الوباء، والنسمة الخالقة في رياحه تقسر الحجر على الحب، على الرقص والحب.

آلهة الرمل تنطرح على جباهها والنبعُ يدفق تحت العوسجة؛ ولا موت في البحر.

. . . ونأتي إلى بلادنا الأسيرة حيث المصباح كنيسة والنّحلةُ راهبة.

- ٤ -

- من أي بلادٍ أتيت، من أيّ حظيرةٍ لا اسْم لها؟

- لم يكتمل وطني بعد. روحي بعيدةٌ ولا ملْكَ لي.

حيث يبدأ القراصنة، تنتهي الكلمة. أحمل كتبي

وأمضي ـ أسكن في فَيْءِ قلبي وأنسج بحرير القصائد سماءً جديدة.

أيها البحر يا صديق الجرح أيها الجرح يا صديق الملح.

أيها البحر الأبيض
أيها الفرات يا أياماً بلا رقم
أيها العاصي يا سريراً بلا طفل
وأنت يا بردى ـ

لقد شربتكِ جميعاً وما ارتويت، لكنني تعلّمت الحب، ووحده اليأسُ جديرٌ بالحب.

يائسٌ وليس من موت، تائهٌ وأكره الهداية،

أترك ورائيَ أصدقائي ـ قضبانَ الحديد والسجون، وأترك بلادي لأولئك الرواقيين المجانين.

وأمضي وليس لي غير أحزاني ومسافاتي، وفي موكبي حبيبتي وشعري، وفي عينيّ يرقد شعبيَ الضائع.

وأمضي وأنا أحلم ـ بالقلوب المعلّقة في الدوالي والرؤوس المزروعة في الحقول، وأتذكر أن هذه ليست إلا بقايا أحبابي.

وحين تدخل في عروقي رائحة البحر، وتملأ شَعر حبيبتي قُبَلُ الرّيح وتموت الشواطىء وتُبعث، لن أتذكّر غير أمّي وسأنسج لها في ذاكرتي حصيراً ليّنةً تجلس عليها وتبكي.

وداعاً يا عصر الذُّباب في بلادي.

. . . ورقٌ ولا حبر، ولا قلبَ ينفضه الحبر واليأس نجمةٌ في الجبين والشرُّ في طفولته والصمتُ رملٌ كاسح ولا ورق.

ـ من أي بلادٍ أتيت، من أيِّ حظيرة لا اسمَ لها؟

ـ لم يكتمل وطني بعد، روحي بعيدةٌ ولا مُلْكَ ليَ.

(بيروت، ١٩٥٨)

مرثية القرن الأول

أغنية

مات عيدُ المطرِ
في وجوه الشعراءْ
فَبدَلْناه بعيد الحجَرِ
أنا والرّفض ووجه الكَلِمهْ
وتركنا
للنواقيس على أهدابنا
لسماء العُروة المنفصمه
وتركْنا
للرّياحين لأجران البكاء،
هذه المرثيَّة المنهزمه.

- ١ -

ذاهلٌ تحت شاشة النبوءةِ، مأخوذٌ بالرّمل - يا رجل! قل لنا آيةً تأتي. . .

التاريخ يهبط المنحدر في حوار مع النّمل، راحلاً على غباره، مليئاً بالمخاط الحلزونيّ، مليئاً بالأصداف.

كان للقمر عينٌ في غُرّته. كان للسماء جبين الأفعى: لا طريقَ لا كلمة، لكنِ البرَصُ الباحث عن وجه، لكن التجاويفُ والشقوق.

افتحْ جوفَك يا خليج الطحالب: جمجمة حمامةٍ على العتبة، والحمّى تثقب خوذة الفارس.

ـ ماذا، ما تريد أيها الروميّ؟

ـ تمْراً يا سيّدي، ثريداً. الطريق رَسنٌ تائهٌ والجوع فرسٌ تصهل بين أسناني.

ـ (هاتوا ماءً لملاقاة العطشان، وافوا الهارب بخبزه!).

تحت راية الغبار انهزْمنا. ملأنا وجوهنا بالمقابر وكتبنا وصيّة الجوع. لم تكن أمامنا نجمةٌ تتلألأ، لم تكن غير أشباح الرمل وغير مناجم الرِّيح والدّمع.

ـ «نطلب يا إلّهنا بطن الأرض»، هكذا صلّينا.

ـ «خذني يا نهر ولا يغتصبني العدوّ» هكذا غنّت عذارانا.

البحر لوّح لنا، البحر بكى لأجلنا. من يسبح هناك؟ قل لنا

فألكَ يا زَبد؛ الموت يبقّع أطرافنا وفي عيونِنا رماد الكواكب الأخيرة.

ـ ٢ ـ

جبلٌ يلفظ اسمه أمامي. ورق اعتمادٍ بين يديّ.

من يشتري هذه الجموع منا ـ يأخذها بعيداً بعيداً؟

من يقبل هديةً هذه الحشود؟ وليأخذ معها السيوف والخناجر، وليأخذ معها الخلاخيل وليأخذ الوشْم والودَع.

في أسواق الماس والأكاجو دلّلنا. لفيلٍ أعمى كتبنا رسالة البيع.

رجلٌ يتبرَّك بخفّ الوالي، رجلٌ يسقط شقّين مقطوعاً بالصراط، رجل يمشي بساقين خيطين، رجل مهروسٌ بالنذير، رجلٌ يتكلم ولا رأس له، رجلٌ لا اسم له، رجلٌ يرسم وجهه بحليب ناقته، رجل يعرف أمه في ولائم الملك، رجلٌ يرقد مع زوجته تحت عباءة الأمير في حرير التسرّي والرعب، رجلٌ يُحشى جلده بالقشّ ويُعرض في الشوارع، رجلٌ ميت يجلد ثمانين سوطاً، امرأة بنهدٍ واحدٍ تُجرّ على الأرصفة، طفل يلبس رداء المشنقة.

أحمد أبو الفوارس، كافور أبو المسك، تيمورلنك ـ

هؤلاء أسياد أرضنا . هم أمراؤنا وهم تيجاننا الفاتحة ، هؤلاء حياتنا على الأرض .

والنجوم جيشٌ يبصقُ علينا باسم سيد الأعالي .

أعبري يا سنواتنا مكسورة الجناح . التصقي بجباهنا خشبة السقوط بلادنا ، و (لتنصر اللهمَّ السلطان ابن السلطان مالك البرّين والبحرين) .

وأنتم أيها الشيوخ ابحثوا لنا عن رجالٍ وراء تخومنا ، رجالٍ يسكن فيهم البرق . باسمهم نضرب نقودنا ، باسمهم ترقد نساؤنا فوق وسائد الزئبق .

ـ ٣ ـ

هوذا شعبٌ يفرش وجهه للسنابك ، هي ذي بلادٌ أجبن من ريشةٍ وأذلّ من عتبة .

من يُرينا عصفوراً ما ، شجرةً ما؟ من يعلّمنا أبجديّة الهواء؟ وحدنا في المفارق ننتظر؛ الرملُ يمحو مناراتِنا ، والشمس تهترىء في تجاعيد أيدينا .

آه يا بلادي يا جلد الحرباء ، عطركِ مطّاط يحترق ، فجرك وطواطٌ يبكي . غير الفاجعة لا تلدين ، غير الحلزون لا ترضعين .

هوذا سيّدك يا خادمة. هاتي له قهوة عدن، هيّئي سريره. وأنا سيد الرفض ـ بعيداً عن النافذة أرتجف، وبالفُتات أكتب هذه القصيدة.

في أهدابي دمع الرتيلاء، في حنجرتي مزمار الموت. أتوِّج بريشةٍ قلبي وأتزوَّج الرِّيح، وليس في طريقي غير الخرائط الممزقة وغير الرعد.

لا النهار يعرفني ولا الليل وفوق ترابٍ بلون النسيان أترك خطواتي تنمو.

سلاماً أيتها الجثّة العائمة يا حياتي. واحترقْ يا جسدي أيها الرؤيا الكئيبة، يا حمامة الوداع!

ـ ٤ ـ

كلماتٌ بلا قمر تعبر نحونا. غيمةٌ عابسة تحمل ثلج الميلاد ـ ابتعدْ أيها المجوسيّ الضيف. قبل الأوان تدخل تخومنا؛ وجهُنا أمير على الفراغ وتاريخنا زبد.

ابتعدْ ابتعدْ.
الوحل يطرح شباكه علينا.
الوحل يلفُّنا بنسيجه.
الوحل بين الجفون حريرٌ وعند الرقبة

ولا غيم

وأين أنتَ يا رعد يا رسول الطوفان؟ اقتحمْ اقتحم حرُماتنا. نساؤنا ينتظرنك خلف سياج الحلم. في الغرف ينتظرنك وفوق العشب. الجنس يلفح جلودهنَّ ولا حبيب غيرك.

أيها الوطن يا كتل الملح، أيها الهزيل كالهواء، الصابغ جلده برماد الكتب، أيها الجندي الشيخ يا وطني،

أمنحك في أحشائي أن تمشي، أمنحك الأنين مع خطواتي. تنهَّد يا وحيداً مثلي، تنهّد مكسور الخاصرة؛ يائساً يائساً تنهّد.

لن أموّه جذور الطاعون ـ تحت شجرة يأسي أتفيأ؛ أجلس على أهدابي وأنتظر نسر الموت.

على كتفيْ غمامةٍ هاجر الأمل. كسر مزاميره في صدري. أسمع طريقاً تنزف شقائق وأكفاناً، أسمع نحيباً في الشوك.

أسميك أيها اليأس لكنك لا تُسمّى. بعد الآن لن نفترق ولن نمشي معاً بعد الآن.

- ٥ -

تحت بيارق الرفض أُسرج كلماتي - في غضون وجهي عرسٌ آخر والأرض بين يديّ امرأة.

أحارب لحميَ الممزق، أنحني لصداقة البرق، وبالرعد أمسح جراحي.

قاتلُ القمر أنا، قاتلُ العنقاء المشعوذة. أركب صهوةَ السمندل وأتنشّق الجمر.

العقرب يرتسم وطناً. الضفدع يلبس قناع التاريخ. المجد يكتبه سطيح والرّخّ - لكن صراخي سيبقى: آه يا قفا العالم، آه يا عذوبة الأشياء المنكرَة.

فوق طفَولة الأرض أكتبُ تاريخنا. لأبجدية المطر أزوّج الحبر، وَلْتخدشْ وجهي أظفار الشمس، وَلْيفرح قايينُ بحفيده.

- ٦ -

حجرٌ تحت أقدامنا يعلو، يعلو. جرسٌ أخضر في خطوات النهار. نجمةٌ جلست عند البحر، تركت لنا جلدها وغابت. ثمة حرذونٌ يغازل السماء. ثمة جبلٌ ينبعُ دخاناً وثلجاً. ثمة ساعةٌ لا تأتي.

من كهوف الحجر أيها الشاعر اخرجْ. مع الفأر والسمندل والحباحب اخرجْ. واشهد لشعراء يسكنون وطناً لا اسم له، وطناً منفوخاً بالجثث.

لشعراء يقرأون قصائدهم للعشب،
اخرجْ واشهدْ للشعر -
بعد القناديل هاويةُ الأجنحة، بعد البحر موت الفُجاءةَ.

- ٧ -

ذاهلٌ تحت شاشة الرؤيا مأخوذٌ بالرفض - يا رجل! قل لنا آيةً تأتي...

أغنية

النواقيس على أهدابنا
واحتضارُ الكلماتْ
وأنا بين حقول الكلماتْ
فارسٌ فوق جوادٍ من ترابِ
رئتي شعري وعيناي كتابي.
وأنا تحت قشور الكلماتْ
في ضفاف الزبد المؤتلقه
شاعرٌ غنّى فماتْ
تاركاً تحت وجوه الشعراءْ
للعصافير لأطراف السماءْ
هذه المرثيّةَ المحترقه.

أرواد، يا أميرة الوهم

(مقاطع)

- ١ -

الشعر يحرق أوراقه القديمة، والقصيدة الآتيةُ بلادٌ من الرّفض، ـ آه، يا كلمات الموتى، آه يا بكارةَ الكلمة. وتلبس القصيدة أهداب الطفولة، وتخشع لكوكب الثّدي.

- ٢ -

للسّاعات هاربةً كمخمل الثّلج، للعمر مجنّحاً بالقَشّ، تتمزّق الحياة، وتصير حروفاً أُخرى.

هوذا الحبيبُ يغرق في خليجِ النّهدين. هوذا يعرف المرأة والجزيرة المسمّاة امرأةً، وعلى شواطىء العشب العشرينيّ يشعل الموجَ والزّبدَ ويقطع خيط الفجر. هوذا يَسْبحُ تحت المِشدّ، لاصِقاً بالقُعر، في مغارةٍ من الحرير والحمّى.

لِينطفـىءْ هذا الجمرُ، ليشتَعـلْ. لِتُمجَّـدْ هذه الأطـرافُ مصلوبةً بالحبّ. تحت شمسها تنمو عرائش العمر، وجسـدُ الحبيبةِ الورَقُ، وجسَدُ الحبيبة إنجيلٌ من الحبر.

والحبيب، في فراش الساعات النائمة، يستفيق من دُوار الغبطة، مرسوماً بالعَرق، مزيّناً بجسد امرأة.

- ٣ -

. . . وتأتين يا طفولة يا تميمـة العمـر، والمـوت يرسـم صلبَاننـا، ويقضمُ أطرافنا الحالمة، وليس عندنا لأرواد غير الشعـر وغير أطيافٍ من البحـر والكنـائس. وتتركيننـا، يا حضورنـا، لأيامنـا الميّتـة وحُفـرٍ صغيرةٍ كأجسامِنـا مسقوفـةٍ بالصّلاة والرّمل.

املأني، يا وَهْمَ الطفولة ـ حيث العمـرُ حَرْبـةُ المـوت. أمامك أنحني، أصير قوساً من الشعر، وأَسْتَنفِدُ انحنائي.

- ٤ -

التاريخ يُقبل في جريدةٍ، في لفافةٍ من التّبغ، وأنا بأسوار الإبر أطوّق ذاكرتي، وأصغي إلى الطفولة:

«شجرة تُفْرِعُ تحـت قدمـيّ. شجـرةٌ أجهـل اسمهـا. في الشجرة أصواتٌ، وبحيرات. وأهدابي سياجٌ يشرد وراءها.

صورة امرأةٍ هذه الشجرة. غيمة تحضن سريري.

أَفْسِحوا لوجهيَ أن يصارع اليأس. شقوق في نوافذ بيتنا تعذّب الضوء، والفرح مريضٌ يرقد بلا وسادة. أَفسحوا ـ النّهار يرسم المدينة بأصابعي، وأنا أسمّيها امرأةً وحبّاً، وأرفع باسمها راية الطفولة.

صورة مدينةٍ هذه الشجرة، ووراء غصونها يختنق الموت.

وأنتِ يا أهدابيَ، دوري مع كوكبٍ يطلع تحت قدميّ، وانقلي ضوءه إلى جنين الأيام الآتية. في جفوني قريةٌ من العصافير تعبر وتعلو. أغفو، وعلى سريري يجلس كوكب السَّهر.

ـ ٥ ـ

السّماء، هذه اللّيلة، امرأةٌ تفرش سريري

السّماء فراشة تسكن المكتبة، ـ

وأنا كلماتي بلا وقع. أتوّج بريشةٍ قلبي، وأتزوّج الرّيح، وليس في طريقي غير الخرائط الممزّقة وغير الرّعد. لا النّهار يعرفني ولا البيت، وفوق ترابٍ بلون النّسيان، أترك خطواتي تنمو.

- ٦ -

أرواد، يا أميرة الوهم، أرواد يا أميرة الحضور، أيها الظلّ الآتي من جذورنا ـ أمّكِ وأنا رياحٌ تهاجر، وأنتِ الأرض. ولا طريقَ تلحقُ بكِ. وجهكِ فضاءٌ، وعيناكِ تثقبان الدّنيا. وها أنت تعلّميننا قصائد العشب ـ حيث نسكن في مدنيّةٍ من الجوع والقَتْل، وحيث نتعلّم الحكمة على طرف خيطٍ من الرّصاص.

أرواد، يا أميرة الوهم، أميرةَ الحُضور، لكِ أَحُكّ عينيّ بجلد النّهار، وفي عروقي أترك سفينة العذاب تترجرج وتُبحر.

- ٧ -

إنها ساعة الصّمت، ساعةُ أن أصيرَ شجرةً أو نبعاً. إنها ساعة الغبطة، ساعة أن أصير عاشقاً أو قصيدة.

لأروادَ، أزرع الهاوية وأفرح. وفي بلادي أنشر حياتي ريفاً كوكبيّاً، وتلالاً من القمح والشّقائق.

إنها ساعة الولادة؛ أَسْعفيني يا سُلالَة الكلمات، واخلقي لشعري أبعاداً أخرى من السرّ والإشارة. ويا طفولة، يا شعريَ الخفيّ المقبل، أضيئي وجهي، وكوني ملجأ

الفاجعة . باسمكِ نهمس تحت الجليد، والنّهار يقتل النّهار .
ونصرخ : «الموت يقترب ، والمقابرُ العاشقة تجدّد ثوبَها كلّ
يوم» ، وتردّين يا طفولة : «أنا الخليقةُ الطّالعةُ ضدّ الموت» .
وتجرح شفاهنا أغانٍ من اليأس : «الأرض هيكلٌ يهترىء ،
والدّموع تأْسَنُ في تجاويفها» ، لكنّ أغانيك تأتي إلينا : «أنا
الحبُّ والشّعر الطّالعان ضدّ الموت» .

وأنتَ ، أيها الحبّ أيها الشعر ـ لكما نرفع أجسادنا ، لكما
نبدع إرْثنا من الموت والطفولة .

(بيروت ، تشرين الأول ١٩٥٨)

سمعته وفمه حجارة

-١-

سمَعتُه وفمه حجارةٌ:
«خُطايَ لا أريدُها
ثقيلةٌ، رتيبةٌ،

وهذه سلاسلي
أموت في رنينها، -
سلاسلي حديدُها إلَهٌ».

وقال، والتّرابُ في جفونِه، وصوتُه غوايةٌ:
«الساعّة التي تَجيءُ، لم تَجىءْ».

-٢-

نافذتي مغلقةٌ ـ نافذتي التي ربطتُ ناظري بضوئِها
وبَصري مُكَفّنْ

وحاضري دَمٌ ـ مصائِرُ رهينةٌ ووطَنٌ مسوّرٌ بموتِه،
والآخرون ـ الكونُ في بيوتِهمْ
والله فوق طبَقٍ من العقول مُترَفٍ».

ـ ٣ ـ

أغيّر الحياةَ: شكْلَ سيرها
وآدميّاً موثقاً بخبزِه
يَغَصّ بالهواء ـ يبقى الله في حلقومِه معلّقاً؛
ولا يزال صوتُه
يجتاحني، وفمه حجارةٌ:
«خُطايَ لا أريدُها...»

ـ ٤ ـ

«تُرى، تُراه جسدي يُعيذنا؟
وهل يكون موتيَ انبعاثةً؟
وهذه حياتُنا:
مُرتّلون مَوْسَقُوا سرابَهمْ،
وبين كلّ خطوةٍ وخطوةٍ
مَغاوِرٌ تألّهتْ، ونُصُبٌ.
ومات قبليَ المسيحُ، مات آخرون، بَعدَهُ...
تُرى، تُراه جسدي يُعيذنا؟».

ـ ٥ ـ

سمعته، وفمه حجارةٌ، يقول: «بَعْدُ، لا نرى
والسّاعةُ التي يقال إنها آتيةٌ، توقّفَتْ».
وقِيلَ، أمسِ غابَ. غابَ صوتُه
وقِيل ماتَ: وجههُ غوايةٌ
وناظراه أُفُقٌ، نوافذٌ جديدةٌ،
وساعداه جدولا شقائقٍ.
وقيلَ: مَنْ خَفّوا إلى وداعِه
تهامَسُوا وتَمتموا:
«أبِالدّمِ انْتَهى الدّمُ؟».

(بيروت، ١٥/ ٣/ ١٩٥٧)

فهرست القصائد

أوراق في الريح ٥
الفراغ ٢٣
العمل ٣٢
الثائر ٣٨
البعث والرماد ٤٥
١ ـ الحلم ٤٧
٢ ـ نشيد الغربة ٤٩
٣ ـ رماد عائشة ٥٣
٤ ـ ترتيلة البعث ٥٧
مجنون بين الموتى ٦٥
السديم ٧٩
قصيدة إلى الغريبة ٩٢
من الذاكرة ٩٥

كلمات للياس ٩٧
الأطفال ٩٨
مزامير الإله الضائع ١٠٤
القافلة ١٠٩
ظل ١١٠
مرثية الأيام الحاضرة ١١١
مرثية القرن الأول ١١٨
ارواد يا أميرة الوهم ١٢٧
سمعته وفمه حجارة ١٣٢

من منشورات دار الآداب

مجموعات الشاعر

- قصائد أولى، الطبعة الأولى ١٩٥٧.
- أوراق في الريح، الطبعة الأولى ١٩٥٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، الطبعة الأولى ١٩٦١.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل، الطبعة الأولى، ١٩٦٥.
- المسرح والمرايا، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.
- هذا هو اسمي (وقت بين الرماد والورد)، الطبعة الأولى ١٩٧١.
- مفرد بصيغة الجمع، الطبعة الأولى ١٩٧٥.
- المطابقات والأوائل، الطبعة الأولى ١٩٨٠.
- كتاب الحصار، الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة، الطبعة الأولى ١٩٨٨.

دار الآداب
هاتف ٨٠٣٧٧٨ - ٨٦١٦٣٣
ص. ب ٤١٢٣ - ١١ بيروت

تصميم الغلاف ناصر عاصي
لوحة الغلاف للفنان حمودة عبد الرزاق